الإِيمَانُ

لفضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن حمَّاد العمر

١٣٥٤ - ١٤٣٧هـ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



من إصدارات



مؤسسة عبد الرحمن بن حماد العمر الوقفية

ABDULRAHMAN H. AL OMAR CHARITABLE FOUNDATION

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان، وفيه مسائل[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

تعريف الإيمان: مصدر آمن، **ومعناه لغة**: التصديق. **وشرعًا**: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره كله من الله تعالى.

ومعنى الإيمان بالله ﷻ: معرفته سبحانه بأنه الله رب العالمين الخالق الرزاق المُدَبِّر المحيي المميت مالك الملك، وحده لا شريك له، وبأن له الأسماء الحسنى وصفات الكمال العليا ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [**الشورى:١١**]، وبأنه الإله الحق لجميع الخلق، المعبود بحق وحده لا شريك له.

وتحقيق ذلك: بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، ومحبته، والتضحية بمراد النفس ومحبوبها في سبيل مراده سبحانه، وطاعته، وطاعة رسوله محمد ﷺ باتباعه والتمسك بدينه.

ومن المسائل المهمة التي خفيت على البعض: معرفة أن إيمان القلب يتفاوت بين المؤمنين؛ ظنًّا من ذلك البعض أن الإيمان شيء واحد، وإنما التفاوت في الأعمال، وأنها التي بها تتفاوت المنازل في الدار الآخرة، وجهلوا أن من المؤمنين القوي في إيمانه، وأن منهم ضعيف الإيمان، وأن ذلك يتبين بظهوره على الجوارح، فَصَاحِبُ الإيمان القوي الذي قد خالطت بشاشة الإيمان قلبه يُراقب الله ﷻ ويتقيه في السر والعلانية، فتراه دائم الذكر لله تعالى، يحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، مؤديًا للواجبات والمستحبات، مجتنبًا للمحرمات والمكروهات، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله، وعلى رأس المؤمنين رسول الله ﷺ فهو أكمل الناس إيمانًا، ثم أبو بكر الصديق الذي جاء في وصف إيمانه بأنه: **(لَوْ وُزِنَ إِيمَانُهُ بِإِيمَانِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ إِيمَانُهُ)**، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم المؤمنون الأمثل فالأمثل.

وأما المؤمن الفاسق فإن فسقه ناتج عن ضعف إيمانه، ولذا؛ فإنه مُتوعَّد بعقاب الله، في حين أن إيمانه بالله سبحانه وبرسوله ﷺ ودينه لاشك فيه، إذ لو كان شاكًّا لما كان مؤمنًا.

والآيات والأحاديث في بيان زيادة الإيمان ونقصانه وتفاوت المؤمنين في إيمانهم أكثر من أن تحصر، بل إن المؤمن الواحد يجد ذلك في نفسه حينًا يقوى إيمانه وحينًا يضعف؛ وبهذا يتبين أن القول: بأن الإيمان شيء واحد وأنه لا يزيد ولا ينقص، قول باطل مصادم للكتاب والسنة والواقع المجرب، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ**

---

(١) من كتاب (الإسلام في بيان ما عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام) تأليف فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن حماد العمر رحمه الله، الجزء الأول صـ (٢١٢:٢٣٨).
(جمع وترتيب مؤسسة عبدالرحمن بن حماد العمر الوقفية رحمه الله).



وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[آل عمران:١٧٣]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾[الفتح:٤]، وقال رسول الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١).

وتعريف الإيمان بالملائكة: الملائكة: جمع مَلَك–بفتح الميم واللام–، وهم خلق مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، خلقهم الله من النور، ولا يحصيهم إلا الله سبحانه، قد أعطاهم الله سبحانه من القدرة ما لا يعلمه ويقدر قدره إلا الله، لا يحتاجون إلى ما يحتاجه البشر من قوت وشراب وهواء وكساء ومأوى؛ لأنهم أرواح نورانية، غذاؤها تسبيح الله سبحانه، لا ينامون، ولا يمرضون، ولا يتعبون، يسبحون الله لا يفترون، يجب الإيمان بهم جملة على نحو ما تقدَّم.

والإيمان بهم تفصيلًا: الإيمان بمن ذكرهم الله ﷻ، وبوظائفهم، مثل: جبريل أمين الله سبحانه على وحيه ورسوله إلى رسله، وميكائيل الموكل بالقطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، ورضوان خازن الجنة، ومالِك خازن النار، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، وأعوانه الذين يرسلهم الله سبحانه ليتوفوا العباد، وهم ملائكة الرحمة الذين يتوفون المؤمنين، وملائكة العذاب الذين ينتزعون أرواح الكافرين وأصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرّون على كبائرهم وهم يعلمون، ثم يقبض ملك الموت تلك الأرواح، ثم تأخذ منه ملائكة الرحمة أرواح المؤمنين، وتأخذ ملائكة العذاب أرواح الكافرين، إلى آخر ما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل.

كُتُبُ الله تعالى: هي وحْيُه الذي أنزله على رسله وبلغوه لأممهم، يجب الإيمان بها جملةً وتفصيلًا، وأنها حق من عند الله، وهي كثيرة لا يعلم عددها على الصحيح إلا الله سبحانه الذي أنزلها، والمذكور منها مُفصَّلًا هو ما أخبر الله بأسمائها في القرآن الكريم وهي: القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على خاتم المرسلين ورسول الله إلى الناس أجمعين محمد ﷺ وجعله مهيمنًا على جميع الكتب وناسخًا لها، والتوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل الذي أنزله على عيسى، والزبور على داود، وصحف إبراهيم وموسى، ويجب الإيمان بأنها كلام الله أنزله على رسله.

وكما يجب الإيمان بأن القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب وناسخ لها، فإنه يجب الإيمان بأنها متفقة معه في العقيدة، وهي ما عناه رسول الله ﷺ بقوله: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(٢)، والاختلاف بينها وبين القرآن ومع بعضها البعض إنما هو في التشريع والمنهاج كما أخبر الله تعالى بذلك بقوله:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨].

التشريع الذي اشتملت عليه الكتب الإلهية المذكورة شرع لنا، إلا ما أتى الإسلام بخلافه فهو منسوخ بالقرآن أو السنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥)، واللفظ لمسلم.



الإيمان برسل الله تعالى، يعني: التصديق الجازم، والشهادة بأن الله أرسل رسلًا إلى أممهم من كل أمة رسول مبشرين ومنذرين، وأنهم دعوا أممهم إلى توحيد الله وطاعته ونهوهم عن الشرك به ومعصيته، وأنهم أقاموا الحجة على من لم يستجب لهم، ونحن نشهد لهم بذلك تصديقًا لإخبار ربنا سبحانه بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ويجب الإيمان برسل الله وأنبيائه جملةً وتفصيلًا، وهم كثير لا يعلم عددهم على الصحيح إلا الله سبحانه، والمذكور منهم في القرآن أربعة وعشرون، وهم: آدم، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط[١]، وإدريس، وداود، وسليمان، وأيوب، واليسع، ويونس، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وإلياس، وعيسى، ومحمد–صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا–، وورد في السنة: شيث بن آدم، ويوشع.

وأولوا العزم من الرسل خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وأفضلهم محمد، ثم إبراهيم–عليهم الصلاة والسلام–.

وتبليغ النبي الوحي تطوعًا، وأول الأنبياء آدم عليه السلام، وهم أكثر من الرسل، وهم كثير في بني إسرائيل.

صفات النبي والرسول: إنسان، ذكر، أرفع قومه حسبًا ونسبًا، وأكملهم عقلًا، وأحسنهم خَلْقًا وخُلُقا، ليس مَلَكًا ولا امرأة ولا جِنّيًّا.

ورسل الله تعالى إلى الناس هم رسله إلى الجِنّ، وهذا دليل على فضل الإنس على الجِنّ، وقد خلق الله الجِنَّ قبل الإنس، وأبو الإنس آدم عليه السلام، وإبليسُ من الجِنّ وليس أبًا لهم كلهم وإنما هو أبو الشياطين من الجِنّ، والله أعلم.

وكل رسول يبعثه الله إلى أمته خاصةً، ومحمد ﷺ بعثه الله إلى الناس عامةً.

(١) الأسْبَاط: جمع سِبْط، وهو القبيلة من بني إسرائيل، بعث الله فيهم أنبياء ورسلًا، وهم أبناء يعقوب عليه السلام المذكورون في القرآن، وهم من تقدَّم ذكرهم، فيكون العدد المذكور أربعة وعشرين، إلا إذا أُريد بالأسْبَاط نبي لم يُذكر اسمه، والله أعلم.

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر: وبدايته سؤال الميت في قبره، ونعيم القبر وعذابه، ومن الإيمان بذلك اليوم العظيم: الإيمان بالبعث، والحساب والجزاء، والجنة والنار، والإيمان بمشاهد القيامة، ومنها: قيام الناس من قبورهم بعد النفخ في الصور النفخة الثانية حفاة عراة غُرْلًا بُهْمًا، وحَشْرُهم في صعيد واحد، ونزول الشمس عليهم قدر ميل، ومجيء رب العالمين والملائكة صفًّا صفًّا للفصل بين الخلائق، والإيمان بموازين الأعمال ووزنها، وبالصراط وبمرور الناس عليه تجري بهم أعمالهم، فناجٍ مُسَلَّم، ومُكردَس في جهنم، والإيمان بالجنة دار النعيم وما ذكر الله فيها ورسوله ﷺ من أصناف النعيم، والإيمان بالنار وما فيها من أصناف العذاب، نسأل الله ﷻ النجاة من النار، والفوز بالجنة، برحمته إنه أرحم الراحمين.

الإيمان بالقدر خيره وشره، وفيه مسائل

تعريف القدر: وهو ما قَدَّر الله سبحانه وأراد وقوعه من خير وشر قبل أن يخلق الخلق.

وتقديره سبحان للشيء يشمل: كيفية وقوعه، ووقت ذلك، وسببه الذي جعل له.

ومراتب الإيمان بالقدر خمس: الأربع الأولى مشهورة مقيدة في كتب أهل العلم بالتوحيد وهي:

الأولى: الإيمان بعلم الله سبحانه الأزليّ لكل شيء قبل أن يخلق الخلق، ومعنى: الأزليّ: الموجود بلا بداية.

الثانية: كتابة ذلك العلم في اللوح المحفوظ، وفي الحديث: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وما ورد من إرسال الـمَلَك إلى الجنين في بطن أمه بعد نفخ الروح فيه، وأمره بكتابة أربع كلمات: رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد. وهذه الكتابة نقل عما هو مكتوب في اللوح المحفوظ.

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله تعالى العامة وقدرته الشاملة، وهي أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله على كل شيء قدير، فلا يقع شيء من الخير إلا بمشيئة الله تعالى الكونية الشرعية، ولا يقع شيء من الشر إلا بمشيئة الله تعالى الكونية القدرية لا الشرعية، ومعنى ذلك:

أن الأمور الاختيارية بالنسبة للعبد من الطاعات والمعاصي التي تقع باختياره، إنما تقع بتقدير الله سبحانه ذلك ومشيئته، فيستحق الثواب على الطاعة، ويستحق العقاب على المعصية، فإذا أثابه الله على الطاعة فذلك بفضله ورحمته؛ لأنه سبحانه الذي هداه لذلك فله سبحانه الفضل أولًا وآخرًا، وإذا عاقبه على المعصية فذلك بِعَدْله، وإن عفا عنه وغفر له فهو بفضله ورحمته.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

ولذا؛ يجب على المؤمن أن يتضرع إلى الله سبحانه ويسأله دائمًا أن يهديه صراطه المستقيم، وأن يصرف عنه شر قضائه؛ عملًا بقوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

وبقوله ﷺ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»[١] وهو الوارد في دعاء القنوت.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩] بعد أن ساق بعض الروايات في هذا المعنى قال: "**إِنَّ كَعْبًا -يَعْنِي كَعْبَ الأَحْبَارِ العَالِمِ بالتوراة- قال لِعُمرَ ﷺ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ لَأَنْبَئْتُكَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ: : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾**". ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله منها ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء. ثم قال: وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلا الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلا الْبِرُّ»[٢] ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري، وثبت في الصحيح: «أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ»[٣]، وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

«لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٤]"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٨)، وأبو داود (١٤٢٥)، والنسائي (١٧٤٥)، والترمذي (٤٦٤)، وقال الترمذي: "حديث حسن"، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٨١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٨٦)، وابن ماجه (٩٠)، وابن حبان (٨٧٢)، والحاكم (١٨١٤)، وأخرج النسائي في السنن الكبرى (١١٧٧٥) أوله فقط. قال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وقال محقق المسند: "حسن لغيره دون قوله: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»". وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤) دون أوله.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٦٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٩٨)، والحاكم (١٨١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٦٧٥-٦٧٧) بتصرف يسير.

فـائدة

يتبين من استقراء النصوص المتعلقة بالقدر أن القدر المعلَّق بالدعاء يحصل به–أي بالدعاء–، والقدر المعلَّق بالبِرّ يحصل بالبِرّ.

أما الأقدار المحكمة كالسعادة والشقاوة والآجال فلا يغيرها الدعاء؛ لأنها أمر قد فُرِغ منه، وإنما يُيَسَّر كُلٌّ لما قُدِّر له، فأهل السعادة يُيَسَّر لهم أعمال أهلها، وأهل الشقاوة يُيَسَّر لهم أعمال أهلها، والله أعلم.

يتبيَّن عدل الله سبحانه ورحمته بعباده أن ما يقع من المكلَّف من المعصية وهو جاهلٌ بها أو ناسٍ لها أو مُكْرَهٌ–وليس الإكراه في حق معصوم–، فإن الله سبحانه قد عفا عنه، ودليل ذلك آخر آية في سورة البقرة وما في حكمها، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(١) وما في معناه من النصوص.

أما لو أُكْرِهَ على ظلم معصوم فلا يحل له ظلمه؛ وقايةً لنفسه، بخلاف ما إذا أُكْرِهَ على قولٍ أو فعلٍ معصيةٍ بينه وبين الله سبحانه؛ كَسَبِّ الدين، أو قول الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، أو أُكْرِهَ على أكل مُحَرَّم أو شربه.

أما لو أُكْرِهَ على قذف مسلم؛ فلا يحل له ذلك.

وأما تركه سبحانه العبد وما اختاره العبد فذلك ليظهر الله سبحانه علمه في عباده؛ لكي يجازيهم على أعمالهم.

فلو جازاهم بمجرد علمه سبحانه فيهم لم يكن ظالمًا لهم، ولكنه سبحانه حكم على نفسه أن يجازي كلَّ عامل بعمله.

وقد جعل الله سبحانه للعبد مشيئة كونية تليق به لا مرضية له، ولكنه يشاؤها أحيانًا؛ ليجازي عليها أو يعفو، ومثال ذلك: لو أنَّ غلامًا مُمَيِّزًا كثير العبث أراد أن يكسر زجاجة لا يرضى أبوه بذلك فنهاه وقال: إن كسرتها ضربتك، فعمد إليها وكسرها على مرأى من أبيه ومقربة منه، وأبوه يستطيع منعه لكنه تركه؛ لكي يعاقبه أو يعفو عنه، فإن عاقبه فهو مستحق للعقاب، ولا يستطيع الابن أن يحتج على أبيه؛ لأنَّ الحجة قد قامت عليه بنهيه وإنذاره، وإن عفا عنه فهو فضل منه وإحسان، فإذا كانت هذه المشيئة قد جعلها الله سبحانه للمكلَّف المخلوق فهي له سبحانه من باب أولى، وله سبحانه المثل الأعلى، ولقد أحسن القائل(٢):

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلاَّ وَلاَ سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ، وَهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣)، وابن حبان (٧٢١٩)، والحاكم (٢٨٠١)، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١).

(٢) انظر: الوابل الصيب (صـ ١٣٨)، شرح الطحاوية (١/٢٩٦).



المرتبة الرابعة: من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بالأمر الشرعي: وقد تقدَّم الكلام عليه، وخلاصته: أن العباد مكلَّفون ومأمورون ومَنْهِيُّونَ، أمرهم الله ﷻ بالخير ورضيه لهم، ونهاهم عن الشر وكرهه لهم، وجعل لهم الاختيار في ذلك، وهو اختيار داخل تحت مشيئته ﷻ، قال الله تعالى:

﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾**﴾ [**التكوير:٢٨-٢٩**].

المرتبة الخامسة: من مراتب الإيمان بالقدر: تبيَّنت لي من استقراء الأدلة، وهي التي عبَّر عنها بعض السلف بقوله: "القَدَرُ سِرُّ اللهِ فِي خَلْقِهِ"، وهي ما أخفى الله سبحانه الحكمة في تقديره فحارت في فهمها العقول وتنوعت فيها المذاهب، كما حصلت في غيرها من مسائل القدر هذه الحيرة وهذا الاختلاف، ولكن ذلك في هذه المسألة أشدُّ، وقد اشتهر منها ثلاثة مذاهب، طرفان ضالان وهما: القدرية المنكرون للقدر، وعكسهم الجبرية المنكرون لمشيئة المكلَّف واختياره في الأمر الشرعي.

والمذهب الوسط هو مذهب الحق الذي اعتقده أهل السنة والجماعة، والذي أخذوه عن الله ورسوله، وجمعوا فيه بين الأدلة ولم يضربوا بعضها ببعض كما فعل القدرية والجبرية، فهداهم الله سبحانه بذلك لما اختلف فيه من الحق بإذنه. وخلاصته: الرضا والتسليم بما خفي عليهم الحكمة في تقديره، والإيمان بأن لله سبحانه الحكمة البالغة فيه، وإنما أخفاها ليبلو بذلك المكلَّفين.

وهذا الإخفاء داخل فيما أوجب الله سبحانه الإيمان به من الغيب وترك السؤال عن ذلك: بِلِمَ فعل الله كذا ولِمَ يفعل كذا؟ عملًا بقوله تعالى: ﴿**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾**﴾ [**الأنبياء:٢٣**]، ومن ذلك: مرض الأطفال، وابتلاء الله تعالى بعض عباده بالإعاقة أو بالجذام وهو أرحم الراحمين، وتقديره الكوني هتك المجرمين لأعراض بعض المؤمنات العفيفات بالقوة، وهو أغير من خلقه ونحو ذلك، ومع هذا فإن الله سبحانه جعل من الأمثلة المقرِّبة لفهم هذا الأمر العظيم والإيمان به الشيء الكثير، قال الله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾**﴾ [**البقرة:٢١٦**]،وقال تعالى في حديث الإفك: ﴿**لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [**النور:١١**]، وقال تعالى:

﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾**﴾ [**العنكبوت:٢**].

وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام دلالة على هذه المرتبة؛ لأن فيها من الأمور المستغربة، بل والمنكرة في ظاهرها لمن خفيت عليه الحكمة فيها، وخصوصًا في قتل الغلام؛ لأن الله سبحانه رحم والديه بموته، إذ لو عاش لأرهقهما بكفره، ورحمه بموته طفلًا قبل أن يموت مكلَّفًا كافرًا يستحق النار.

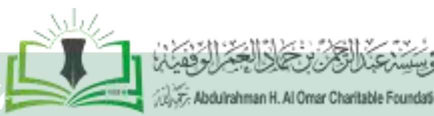
قال الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره القيّم: "الْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ من مراتب الهداية الخاصة والعامة: مَرْتَبَةُ الْبَيَانِ الْعَامِّ، وَهُوَ تَبْيِينُ الْحَقِّ وَتَمْيِيزُهُ مِنَ الْبَاطِلِ بِأَدِلَّتِهِ وَشَوَاهِدِهِ وَأَعْلَامِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ مَشْهُودًا لِلْقَلْبِ، كَشُهُودِ الْعَيْنِ لِلْمَرْئِيَّاتِ. وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، الَّتِي لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا وَلَا يُضِلُّهُ إِلَّا بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴿١١٥﴾﴾ **[التوبة:١١٥]**، فَهَذَا الْإِضْلَالُ عُقُوبَةٌ مِنْهُ لَهُمْ، حِينَ بَيَّنَ لَهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مَا بَيَّنَهُ لَهُمْ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَعَاقَبَهُمْ بِأَنْ أَضَلَّهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَمَا أَضَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ سِرَّ الْقَدَرِ، وَزَالَتْ عَنْكَ شُكُوكٌ كَثِيرَةٌ، وَشُبُهَاتٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَلِمْتَ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي إِضْلَالِهِ مَنْ يُضِلُّهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْقُرْآنُ يُصَرِّحُ بِهَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ؛ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ **[الصف:٥]**، ﴿**وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ **[النساء:١٥٥]**. فَالْأَوَّلُ: كُفْرُ عِنَادٍ، وَالثَّانِي: كُفْرُ طَبْعٍ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴿١١٠﴾﴾ **[الأنعام:١١٠]** فَعَاقَبَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ حِينَ تَيَقَّنُوهُ وَتَحَقَّقُوهُ، بِأَنْ قَلَّبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ فَلَمْ يَهْتَدُوا لَهُ"[١].

(١) التفسير القيّم (صـ ٤٥-٤٦).



مسألة مهمة: الفرق بين أمر الله تعالى ومشيئته

تنبيه يتعلق بأمر الله تعالى في القدر: يعتقد بعضٌ ممن لا يفرِّق بين أمر الله تعالى وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية أن الله سبحانه يأمر بالشَّرِّ أمرًا كونيًا، فينسب إلى الله سبحانه أنه يأمر بالشَّرِّ كونًا وقدرًا، وينهى عنه شرعًا، كما يريد ويشاء الشَّرَّ كونًا وقدرًا، ولا يريده ولا يشاؤه شرعًا، وربما استدل على ذلك الفهم الخاطئ بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴿١٦﴾﴾[**الإسراء:١٦**].

والحق الذي يجب على المؤمن اعتقاده: أن الله ﷻ يقدر الشَّرَّ فيقع بتقديره تعالى الكوني القدري، لا بأمره، ويشاء وقوع الشر فيقع بتقديره الكوني القدري؛ وذلك لأن الله سبحانه يريد ويشاء بحكمته ما لا يرضاه؛ لكي يعاقب العاصي أو يعفو عنه، فإن عاقبه فليس له حجة على الله بالمشيئة والإرادة، ما دام أنه قد نهاه عن الشر وجعل له مشيئة يتمكن بها من تركه؛ ولذا كَذَّبَ الله المشركين الذين قالوا: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا**﴾[**الأنعام:١٤٨**]

وأكذبهم لما قالوا: ﴿**وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا**﴾[**الأعراف:٢٨**] يعنون الفاحشة، فردَّ عليهم بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[**الأعراف:٢٨**]، فتكذيبه للمشركين لما احتجُّوا بمشيئته سبحانه راجع إلى أن المشيئة ليس لهم بها حجَّة لوجود المشيئة الخاصة بهم كما تقدَّم في بيان مشيئة العبد الكونية، وأما تكذيبه سبحانه لهم في الاحتجاج بأن الله أمرهم؛ فلأنه سبحانه لا يأمر بالفسق أصلًا. ولذا؛ فإنك لا تجد آية واحدة ولا حديثًا صحيحًا يدل على أن الله يأمر كونًا وقدرًا بالشَّرِّ؛ بل العكس من ذلك وهو أن الآيات والأحاديث كثيرة في الدلالة على بطلان هذا الاعتقاد.

وقد يتأوَّل مُتَأَوِّلٌ بأن قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴿٨٢﴾﴾[**يس:٨٢**] دليل على ذلك وهذه الآية لا علاقة لها بالموضوع، بل إنما هي دليل على وقوع ما قدَّره من خير أو شر، كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (الإرادة) ففسَّر الأمر بالإرادة، وكما بيَّن ذلك أئمة المفسرين من السلف كابن جرير والبغوي وابن كثير في تفسير آية الإسراء: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴿١٦﴾﴾[**الإسراء:١٦**] على تقدير محذوف بعد (مترفيها)، وهو قول: (بطاعتنا) وهو تفسير أئمة الصحابة كابن عباس وغيره ﭫ.

ولقد كنتُ مستغربًا القول بأن الله تعالى يأمر بالفسق أمرًا كونيًا، ومنكرًا بفطرتي ذلك تنزيهًا لله سبحانه، ونفيًا للتناقض



والظلم عنه سبحانه، فسألتُ شيخنا (عبدالعزيز بن باز) رَحِمَهُ اللهُ عن ذلك، فأجابني بما أثلج صدري: بأن الله سبحانه لا يأمر بالفسق كونًا وقدرًا، وإنما ذلك القول حصل ممن قاله اجتهادًا خاطئًا، ثم اطَّلعتُ بعد ذلك بمدة على تفسير آية الإسراء للعلامة محمد الأمين الشنقيطي في (أضواء البيان) بعد ما طُبِعَ؛ فسَرَّنِي نفيه ذلك أشد النفي وإيضاحه ذلك بالأدلة، والله أعلم، وهو المستعان.

ولا يجوز الاحتجاج بالقدر قبل وقوعه عند ارتكاب المعصية، كما لو نُهي فاسقٌ عن ارتكاب معصية أراد اقترافها فردَّ على الناهي بقوله: هذا مُقَدَّرٌ عليَّ أو هذا قدر الله، أو ما أفعل شيئًا إلا بقدر الله، ومثال آخر: لو نَهَيْتَ سائقَ سيارة عن السرعة فردَّ عليك بقوله: المقدَّر حاصل، أو بنحو ذلك.

ويرد عليهما: بأنكما مأموران ومطالبان أمام الله سبحانه بفعل الطاعة والأسباب النافعة، وقد جعل الله لكما الخيار في ذلك، فإذا أقدم العاصي على المعصية فقد باء بالإثم واستحق العقاب ولا يلوم إلا نفسه؛ لأنه ليس مُكْرَهًا ولا جاهلًا ولا ناسيًا، وهكذا السائق إذا تجاوز الحد فقد ارتكب الخطر وعليه اللوم والمسئولية.

وأما الاحتجاج بالقدر بعد وقوعه فهو مشروع حتى للعاصي والمسرع، فإنهما يحتجان بالقدر بعد وقوع المصيبة مع الندم والاستغفار والاعتراف بالذنب والتوبة إلى الله سبحانه، فيقول: قدَّر الله وما شاء فعل، إنا لله وإنا إليه راجعون، أستغفر الله.

وأما الاحتجاج بالقدر بعد وقوعه على سبيل التخلِّي عن المسئولية وإرجاعها إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأن العاصي والمسرع لا لومَ عليهما: فإن هذا حرام لا يجوز، وتألٍّ على الله سبحانه، وإنكارٌ لما جعله سبحانه للعبد من مشيئة، وردٌّ لأمره سبحانه ونهيه وتشريعه، وهذا مذهب الجبرية الضالين.

وأما مُحَاجَّةُ موسى وآدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لما قال موسى لآدم: «**أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ أنت الذي أخرجتنا من الجنة بِأَكْلِكَ مِن الشَّجَرَةِ؟ فَرَدَّ عَلَيهِ آدَمُ: كَمْ تَجِدُ ذَلِكَ مَكْتُوبًا فِي التَّورَاةِ؟ قَالَ مُوسَى: بِكَذَا سَنَةٍ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»(١)، فهذا احتجاج بالقدر بعد وقوع المُقَدَّر مقرونٌ بالتوبة والاستغفار والندم، كما حكى الله سبحانه عن الأبوين قولهما:

﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [**الأعراف:٢٣**] فهو احتجاج مشروعٌ بقدر الله، وليس احتجاجًا على تقديره سبحانه.

(١) القصة أخرجها البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).



تنبيه

ومما تجبُّ معرفته أن معصية الأبوين عليهما السلام بالأكل من الشجرة لم تكن عِنَادًا ومُكابرةً كمعصية إبليس؛ وإنما هي نتيجة اغترار غَرَّهما به إبليس، وتصديق للإقسام الذي أقسم به أنه لهما من الناصحين؛ لأنهما مؤمنان صادقان، فظنَّا بإبليس اللعين الصدق، ولذا بادرا بالتوبة إلى الله تعالى والاعتراف بالذنب وطلب المغفرة لَمّا عِلما أنهما ظالمان بالأكل من الشجرة بعد نهي الله تعالى عنها.

من سُنَّة الله سبحانه في القدر: أن القدر يُرَدُّ بالقدر وبالدعاء، وكل ذلك قدر، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقوله ﷺ: «وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوَقَّهُ»[(١)]، ومن دعائه ﷺ في القنوت: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»[(٢)]، وحديث أم المؤمنين المتقدم وفيه: «وَالدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ»[(٣)]، وفي قصة عدم دخول عمر رضي الله عنه بالمسلمين إلى البلد الموبوء في بلاد الشام قال لمن قال له: "تَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ"[(٤)].

ومن قدر الله سبحانه: أنه سبحانه جعل للخير والسلامة أسبابًا، وللشرِّ والهلاك أسبابًا، حتى الجنة والنار جعل الله لدخولهما أسبابًا-نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار-، ومن الأدلة على ذلك: قصة الذي لدغته العقرب، فقال له النبي ﷺ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»[(٥)] وحديث: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ ...»[(٦)] إلى غير ذلك، ويقول سبحانه لأهل الجنة: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، ويقول سبحانه عن أهل النار: ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس:٨] الباء في الآيتين باء السببية؛ أي: بسبب أعمالكم، وليست باء العِوَض التي تعني بدخول الجنة؛ لأنها عِوَض عن الأعمال الصالحة؛ وذلك لأن الأعمال الصالحة مهما بلغت لا تساوي نعمة من نعم الله على العبد كنعمة البصر، وإنما يدخل أهلُ الجنةِ الجنة برحمة الله تعالى، والأعمال الصالحة سبب لنيل رحمته.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٢٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥)، وصححه الألباني في المشكاة (١٢٧٣).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٨١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٠٩)، وأبو داود (٣٨٩٨).
(٦) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٩).

وحقيقة الإيمان بالقدر: أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطائك لم يكن ليصيبك، وأن تواجه ذلك بالحمد والرضا والتسليم والصبر وقول: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة، وبالحمد والشكر عند النعمة، والله أعلم.

تَرِد عبارة: الإنسان مُسَيَّر لا مُخَيَّر، ويَرِد السؤال: هل الإنسان مُسَيَّر أو مُخَيَّر؟ **والجواب**: الإنسانُ مُسَيَّرٌ فيما لا اختيار له فيه، مثل: أَجَلُه، والأرض التي سيموت فيها، ورزقه من حيث غناه وفقره لا من حيث طريقة اكتسابه، فإن اكتساب الحلال واكتساب الحرام داخل في تخييره، ولذا؛ فهو يُثاب على اكتساب الحلال، ويُعاقَب على اكتساب الحرام، ولا يُؤاخَذ على النسيان وما استُكْرِهَ عليه، ولا على ما لا طاقة له به، ولا على فعل أو قول بسبب زوال العقل بنوم أو جنون لا بسُكْرٍ، فإن السكران يُؤاخَذ؛ لأنه بفعله، وما يترتب على السُّكْرِ تابع له، إلا ما استُثْنِيَ: كاليمين والطلاق على الراجح من الأقوال، بخلاف جنايته فهو مُؤاخَذ عليها.

أمَّا الخطأ فقد رفع الله سبحانه المؤاخذة عليه؛ تفضلًا منه رغم مَا لَه من التخيير الجزئي الذي يستحق المؤاخذة على شيء منه، وكذا الحظّ في أمور الدنيا فهو تابع للرزق، فغير المحظوظ مهما بذل الأسباب فإنها لا تنفع إذا لم ينفع الله بها، ومن ذلك: الزوجة والذرية من ذكور وإناث أو عقم، فهذا مُسَيَّرٌ فيه لا مُخَيَّر.

والإنسان مُخَيَّرٌ فيما جعل الله له الخِيار فيه تخييرًا تابعًا لمشيئة الله تعالى، مثل: طاعة الله تعالى ومعصيته، ومعاملته مع الناس، وهذا التخيير تتعلق به المؤاخذة على الإساءة والثواب على الإحسان.

وهو مُحَاطٌ فيما هو مُخَيَّرٌ فيه بالأعداء الأربعة: الشيطان، والهوى، والنفس الأَمَّارة بالسوء، وقرناء السوء، وجميع هذه الأعداء قد حذَّرَه الله سبحانه ورسوله أن يطيعها وبيَّن الله سبحانه ورسوله ﷺ كيفية السلامة من شرها، فإن أطاع هذه الأعداء أوقعته في المعصية التي يندم على فعلها ويُؤاخَذ عليها، وإن اعتصم بالله سبحانه وجاهد هذه الأعداء بعدم طاعتها والبعد عن شرها عصمه الله وأعانه على السلامة من شرها. والله المستعان.



الإحسان، وفيه اثنتا عشرة مسألة

الإحسان لغة: مصدر أحسن، وهو: بذل المعروف في الأقوال والأعمال.

وشرعًا هو: كما عرفه المصطفى ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١).

ومعناه: أن تحقق عبوديتك لله سبحانه بتعظيمه سبحانه والإخلاص له في السرِّ والعلن، وتفريغ القلب عن كل شاغل يشغل عن حبه وذكره ومراقبته.

وأن تعتقد وتؤمن بأنه سبحانه معك أينما كنت بعلمه وسمعه ورؤيته وتدبيره، فتراقبه فلا يجدك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وأن تخشع له في عبادتك، وتراه بقلبك رؤية تجد بها فيه حلاوة المراقبة ولذة المناجاة.

وأن تجمع بين أداء الواجبات والمستحبات والبعد عن المُحَرَّمات والمكروهات، وأن تكون في ذلك مُتَّبِعًا لسنة النبي ﷺ لا مُبتدِعًا.

أن تكون نفَّاعًا لخلق الله بقدر الإمكان، مُحِبًّا لأخيك ما تحبه لنفسك، كارهًا له ما تكره لنفسك، صابرًا عند البلاء، شاكِرًا عند السراء.

وأن تكون كثيرَ الذِّكْرِ والفِكْرِ والتَّضَرُّعِ إلى الله، وسؤاله المغفرة وحسن الخاتمة، وللإسلام والمسلمين النصر والعزة وجمع الشَّمْل على طاعته، وانتشار الإسلام في كل مكان.

أن تكون داعيًا إلى الله، وِفْق شرع الله؛ بقولك وفعلك وجميع تصرفاتك، مُباركًا أينما كنت كالغيث على الأرض الطيبة الميتة، أيُّ قَومٍ تحل بينهم ترحل تاركًا فيهم أثرًا طيبًا يبقى لك أجره وذكره الحسن ما بقي، فإن كانوا قومًا صالحين ذَكَّرْتَهم بما يقوي إيمانهم وصلاحهم، وإن كانوا جُهَّالًا علَّمتهم ما يلزمهم من أمر دينهم، وإن كان ليس لهم مسجدًا يصلون فيه جماعة جَمَعْتَهم في مسجدٍ، ولو في خيمة أو عريش أو خطة تخطها وتحيطها بالحجارة، وإن كان بينهم عداوةٌ ونفْرةٌ أصلحت بينهم، وإن كانوا فقراء تصدَّقت عليهم واتصلت بأهل الإحسان من أجلهم.

وأن تكون شريفًا عفيفًا بعيدًا عن خوارم المروءة ومجالس السفهاء إلَّا لدعوة وتعليم وإصلاح، زاهدًا عما في أيدي الناس، لا تسألهم شيئًا إلا ما أمرك الله بسؤاله مما دعت إليه الضرورة، وأن تكون طيب الكسب بعيدًا عن الحرام والمتشابه.

أن تناصح ولاة الأمور سِرًّا، وأن تدعو الله لهم في سرك وعلنك بالصلاح والتوفيق لما فيه صلاحهم وصلاح رعيتهم ونصر

---

(١) أخرجه مسلم (٨).



دين الله، وتطيعهم في المعروف.

أن تكون مُحبًّا لله وما يحبه، مُبْغِضًا لما يبغضه سبحانه، تُوالِي فيه وتُعادي فيه على الوجه الذي يرضيه.

أن تشهد مِنَّةَ الله سبحانه عليك في كل طاعة تقوم بها، وأن له سبحانه المِــنَّة في ذلك إذ هداك لهذا وما كنت لتهتدي لولا أن هداك الله، فتحمده على أداء الطاعة، وتسأله القبول، وتستغفره عن التقصير، وتتوب إليه توبة صادقة عند ظلم نفسك ووقوعك في الذنب، وأن تحذر العجب والغرور بعبادتك وجهادك، وأن تكون على شعور مستمر بالتقصير قائلًا: سبحانك ربي ما عبدتك حق عبادتك؛ لأن عبادة العبد لا تساوي نعمة أنعم الله بها عليه من نعمه التي لا تُحصى.

وهذه المسائل المتقدّم ذكرها تكون في المسلم والمؤمن كل بقدره، لكنها في المحسن أتم وأكمل؛ لأن المؤمنين ثلاثة أصناف كما بينها رسول الله ﷺ، وبينها الله تعالى بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

نسأل الله أن يجعلنا من السابقين بالخيرات بمَنِّه وكرمه، ونسأله أن يغفر لنا السيئات؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الإيمان باليوم الآخر، ويشتمل على أمور عظيمة يجب الإيمان بها، نذكر منها المسائل الآتية:

الإيمان بسؤال مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ للميت في قبره.

الإيمان بنعيم القبر وعذابه، فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: «كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَه، كَأَنَّ على رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَهُوَ يُلْحَدُ له، فقَالَ: أعُوذُ بالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ قَالَ: إنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إذَا كَانَ فِي إقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَة وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَتْ إليه الْمَلَائِكَة، كَأَنَّ على وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّة، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّة، فَجَلَسُوا منه مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِه، فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَة، اخْرُجِي إلى مَغْفِرَة مِنَ الله وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَة مِنْ فِيّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِه طَرْفَة عَيْنٍ، حتى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَتَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَة مِسْكٍ وُجِدَتْ على وَجْه الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا، -يَعْنِي على مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَة- إِلَّا قَالُوا: مَا هذه الرُّوحُ الطَّيِّبَة ؟

فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِه التي كَانُوا يُسَمُّونَه بِهَا فِي الدُّنْيَا؛ حتى يَنْتَهُوا بِهَا إلى السَّمَاءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ له، فَيُفْتَحُ له، فَيُشَيِّعُه مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إلى السَّمَاءِ التي تَلِيهَا، حتى يُنْتَهَى بِهَا إلى السَّمَاءِ التي فيها الله، فَيَقُولُ الله ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوه إلى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أخرى. قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُه فِي جَسَدِه، فَيَأْتِيه مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِه، فَيَقُولَانِ له: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولَانِ له: مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ له: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله، فَيَقُولَانِ له: مَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ به وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوه مِنَ الْجَنَّة، وَافْتَحُوا له بَابًا إلى الْجَنَّة، قَالَ: فَيَأْتِيه مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ له فِي قَبْرِه مَدَّ بَصَرِه، قَالَ: وَيَأْتِيه رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْه، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ له: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْه الذي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ، أَقِمِ السَّاعَة حتى أَرْجِعَ إلى أَهْلِي وَمَالِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَة، نَزَلَ إليه مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَة سُودُ الْوُجُوه، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ منه مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِه، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَة، اخْرُجِي إلى سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِه، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِه طَرْفَة عَيْنٍ، حتى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ خَبِيثَة



وُجِدَتْ على وَجْه الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا على مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَة إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِه التي كَانُ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حتى يُنْتَهَى بِهَا إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ له، فَلَا يُفْتَحُ له، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف:٤٠]، فَيَقُولُ الله ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَه فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُه طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:٣١]، فَتُعَادُ رُوحُه في جَسَدِه، وَيَأْتِيه مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِه، فَيَقُولَانِ له: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ له: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ، فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوه مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا له بَابًا إلى النَّارِ، فَيَأْتِيه مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عليه قَبْرُه، حتى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلَاعُه، وَيَأْتِيه رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْه، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْه الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»(١).

قال في شرح الطحاوية بعد ذكره هذا الحديث: "ذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»(٢)، قَالَ قَتَادَةُ: «وَرُوِيَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ»، وذكر الحديث.

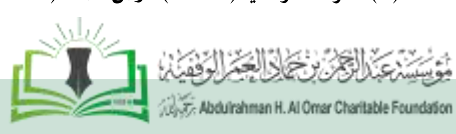
وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»(٣)، وفي صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوْ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ النَّكِيرُ»(٤) وذكر الحديث.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨٥٣٤)، والحاكم في المستدرك (١٠٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٤).



وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا"[١]، والله أعلم.

ومن الأدلة القرآنية على نعيم القبر، وتُسمى الحياة البرزخية، قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ **[آل عمران:١٦٩]**، ومن الأدلة على عذاب القبر قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ **[غافر:٤٦]**.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

---

(١) شرح الطحاوية (صـ ٣٩٤-٣٩٥).

جدول المحتويات

هذا الكتاب منشور في

